المتغيراتُ المؤثرةُ فِي العلاقاتِ الروسيّة – المصريّة في عهدِ الرئيسِ عبد الفتاح السيسيّ

أ.م.د احمد خضير عباس الرماحي
معهد العلمين للدراسات العليا

م.د نبيل عمار ناجي فخرالدين
كلية الامام الكاظم (ع)

https://doi.org/10.61353/ma.0100167

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٢/٧/٢ تاريخ قبول البحث ٢٠٢٢/٨/١ تاريخ نشر البحث ٢٠٢٢/٩/٣٠

تميزت العلاقات الروسية – المصرية منذ الخمسينات والستينات بالتطور والتحسن في كثير من العوامل , وصولا إلى عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي، وهذا الأمر جعل من مصر دولة هامة ومحورية, واتجهت نحو روسيا الاتحادية وتحديداً في الوقت الحاضر، وكان وراء توجه مصر ازاء روسيا ايجاد تحالفات جديدة بعيدا عن ضغط بعض القوى الأخرى مثل الولايات المتحدة الامريكية، سيما وأنَّ رغبة روسيا الاتحادية التوغل بالمنطقة ومن ثمّ لا بد لمصر من التوجه نحو روسيا الاتحادية وتقوية العلاقات بينهما ولاسيما في المجال السياسي والأمني والاقتصادي، وهذا الأمر زاد من توطيد العلاقات الروسية المصرية في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي.

The Russian-Egyptian relations since the fifties and sixties have been characterized by development and improvement in many factors, up to the era of President Abdel Fattah al-Sisi, and this matter made Egypt an important and pivotal country, and it headed towards the Russian Federation, specifically at the present time, and behind Egypt's orientation towards Russia was the creation of new alliances Away from the pressure of some other powers such as the United States of America, especially since the desire of the Russian Federation to penetrate the region, and then Egypt must move towards the Russian Federation and strengthen relations between them, especially in the political, security and economic fields, and this matter further consolidated the Russian-Egyptian relations during the era of President Abdel Fattah el-Sisi.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدولية، روسيا، مصر، الولايات المتحدة الامريكية.

المقدمة

شهدت العلاقات الروسية – المصرية أثناء حكم الرئيس عبد الفتاح السيسي تقاربا ملحوظ على المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية والثقافية كافة ، وتحديدا في المجالات السياسية والاقتصادية وذلك نظرا لحجب بعض القطع العسكرية من الجانب الامريكي عن مصر , وكذلك التبادل الاقتصادي ؛ ولذلك أصبحت روسيا الاتحادية مصدر تسليح الجيش المصري , والعمل المشترك في محاربة الإرهاب والتعاون والتناسق بين الطرفين تخدم مصلحتهما , وهذا الأمر زاد بطابع ايجابي بين روسيا ومصر على مستوى السلطات الرسمية والحالة العامة للمجتمع، ويسهم هذا التفاعل الوثيق بين كبار المسؤولين في البلدين ؛ فضلاً عن التفاعل الثنائي المستمر والمتعدد الأوجه في تحقيق نتائج جيدة وجديدة بين كلّ من روسيا الاتحادية ومصر.

وهذا ما أكد عليه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والرئيس الروسي فلاديمير بوتين من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي جرت بينهما بشأن الشراكة والتعاون الاستراتيجي، الذي تضمن كثيراً من المستويات المختلفة وزيادة تعزيز التعاون والتفاعل بين روسيا ومصر في المستقبل.

أولاً: أهمية البحث: تتحدد أهمية البحث في كون الموضوع شائكا وهاما في العلاقات الدولية، وذلك بسبب تطور العلاقات الروسية – المصرية بشكل عام على مدار السنوات , وبشكل خاص في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى جانب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وهذا الأمر أظهر بعض المتغيرات المؤثرة ومنها السياسية والاقتصادية التي هي محل الدراسة.

ثانيا: اشكالية البحث: تنطلق اشكالية البحث من جدلية (المتغيرات المؤثرة في العلاقات الروسية – المصرية في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي)؛ لأنَّ العلاقات بينهما لا تزال تمارس تأثيراً هائلاً في النظام العالمي في مختلف الميادين , ومنها السياسية والاقتصادية، وعلية تثير اشكالية هذه العلاقات كثيراً من التساؤلات وهي على النحو الآتي:

١- ما طبيعة العلاقات الروسية- المصرية قبل وبعد عام ٢٠١٥؟

٢- ما المتغيرات المؤثرة في العلاقات الروسية – المصرية؟

٣- ما تأثير أحداث الربيع العربي في العلاقات الروسية – المصرية؟

٤- ما أثر الاقتصاد المصري في علاقتها مع روسيا الاتحادية؟

ثالثا: فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها: أنَّ العلاقات الروسية – المصرية تستند إلى التعاون بدل الخلاف فيما بينها , ولاسيما في المجالات السياسية والاقتصادية لتحقيق مصالحها المشتركة بينهم على الرغم من وجود قوى عظمى إلى جانب روسيا الاتحادية بوصف مصر دوله لها أهمية في المنطقة.

رابعا: مناهج البحث: نظرا لتشعب المسائل التي يتطرق إليها موضوع البحث، اعتمدنا مناهج تتكامل في ما بينها، بقصد اغناء موضوع البحث، ولأجل تحقيق هذه الغاية، اتبعنا (المنهج التاريخي)، لتتبع الأحداث التي

كان لها تأثير واضح في طبيعة نتائجها تلك العلاقات الروسية – المصرية، وكذلك اعتمدنا (المنهج التحليلي)، لتحليل الظواهر والأحداث والمتغيرات المؤثرة في العلاقات الروسية – المصرية.

خامسا: هيكلية البحث: بدأ البحث بمقدمة ومبحثين الأول تناول طبيعة العلاقات الروسية – المصرية قبل وبعد عام ٢٠١٥، والمبحث الثاني تناول المتغيرات المؤثرة السياسية والاقتصادية في العلاقات الروسية – المصرية في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي، وأخيرا الخاتمة ثم مصادر.

المبحث الأول : طبيعة العلاقات الروسية – المصرية

تعدّ مصر من الدول الهامة في منطقة الشرق الأوسط ولها تأثير في المنطقة العربية بوصفها دولة محورية بسبب تأثيرها الإقليمي في عملية الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي، وهذا ما يجعل لمصر أثراً كبيراً بين القوى الإقليمية والدولية والتي تعمل هذه القوى على إقامة علاقات معها، ولاسيما الدول العظمى مثل روسيا الاتحادية بوصفها القوى المؤثرة في منطقة الشرق الأوسط وتحديداً بعد الثورات التي حصلت بعد عام ٢٠١١، وهذا الأمر أدى بتطور العلاقات بين مصر وروسيا الاتحادية في كثير من النواحي السياسية والأمنية والاقتصادية منها , ولاسيما في عهد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، ومما تقدم سنتطرق إلى العلاقات الروسية المصرية قبل وبعد عام ٢٠١٥ في هذا المبحث وتكون على مطلبين اثنين كالتالي:

المطلب الأول : العلاقات الروسية - المصرية قبل عام ٢٠١٥:

على مدى سنوات طويلة شهدت العلاقات الروسية – المصرية حالة من عدم الاستقرار والتذبذب بين الدولتين , ومنذ عام ١٩٤٣ اتخذت الحكومة المصرية قرار إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي واتبعها توقيع أول اتفاقية اقتصادية بين البلدين في عام ١٩٤٨ بشأن التبادل التجاري بين الدولتين.

وشهدت حقبة الخمسينات والستينات من القرن الماضي توافق شديد بالعلاقات بين الدولتين على جميع الأصعدة الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية, لا سيما اعقاب ثورة يوليو عام ١٩٥٢, إذ قدم الاتحاد السوفيتي دعما ماديا لتخويل بناء السد العالي, وأسهم في إنشاء مصنع الحديد والصلب في مدينة حلوان في مصر, ومجمع لصناعة الالومنيوم جنوب مصر, وعمل الروس مع الحكومة المصرية على مد خطوط الكهرباء من اسوان إلى الاسكندرية, زيادة على عدد كبير من المشروعات الصناعية التي شارك في تمويلها [١].

ومن الناحية العسكرية فقد دعم الاتحاد السوفيتي الجيش المصري, إذ أسهم في تحديثه وتزويده بالسلاح, لاسيما بعد نكسة عام ١٩٦٧, زيادة على ذلك, ساعدت روسيا مصر في بناء درع للصواريخ لحماية العمق المصري, وعملت الحكومة المصرية على ايفاد كثير من قيادات الجيش المصري آنذاك لاستكمال دراساتهم العسكرية في المعاهد والمدارس الحربية الروسية [٢].

بلا شك, أنَّ متانة العلاقات الروسية – المصرية جاءت في عهد الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر الذي أراد اللعب على وتر التوازنات الدولية واستبدال امريكا التي وقفت مع اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧, واستبدالها بالاتحاد السوفيتي والاعتماد عليها في الدعم الدولي والعسكري.

ويلاحظ أنَّ البعد الجغرافي هو البعد الأهم في السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط ولاسيما مصر, إذ يمكن فهم الاستراتيجية الجيوسياسية التي تمتلكها المنطقة لروسيا وهي أهمية تبدو ملامحها واضحة عن طريق النظر إلى السواحل الروسية المتجمدة طوال العام, والسعي الروسي الدائم إلى الحفاظ على الوجود الفعال في منطقة الشرق الأوسط, لضمان الوصول إلى المياه الدافئة عبر الخليج العربي والبحر المتوسط[٣].

ونتيجة لهذه العلاقات الجيدة بين الدولتين أجرى رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي (نيكتا كروتشوف) (Nikita Khrushchev) أول زيارة رسمية لمصر في عام ١٩٦٤, وبعد أربع سنوات من هذه الزيارة قام جمال عبد الناصر بالذهاب إلى موسكو بزيارة رسمية , مهدت الطريق إلى وضع أساس التعاون المشترك بين الدولتين[٤].

أمّا المرحلة الثانية من العلاقات الروسية – المصرية فقد بدأت في عام ١٩٧٠, مع صعود انور السادات إلى الحكم, فقد امتازت العلاقة بين الدولتين بالفتور والتدهور النسبي حتى انقطعت تماما , وكان من شواهد هذا التوتر طرد الخبراء الروس الذي بلغ عددهم ١٥ الف خبير روسي [٥], وعلى أثره تم إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون عام ١٩٧٦ ثم قطعت العلاقات الدبلوماسية نهائيا حتى العام ١٩٨١ [٦].

ونلاحظ أنَّ سبب هذا التدهور بالعلاقات بين الدولتين يعود إلى أنَّ الرئيس المصري انور السادات أخذ يتقرب من الولايات المتحدة الامريكية على حساب الاتحاد السوفيتي.

امتازت العلاقات الروسية المصرية منذ عام ١٩٨١ بالجدية والتعاون المشترك لاسيما مع وصول الرئيس السابق حسني مبارك إلى الحكم خلفا للرئيس الراحل انور السادات، بدأ مبارك علاقته بالاتحاد السوفيتي على وفق (سياسة التطبيع التدريجي) وجرى تتويجها بزيارة إلى موسكو بعد قطيعة استمرت نحو ٢٠ عاماً , وعلى أثر وصول الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) إلى الحكم في روسيا عام ٢٠٠٠ , تحسنت طبيعة العلاقات بين الدولتين إلى الأفضل, لاسيما وأنَّ الرئيس الروسي أراد تحقيق درجات متزايدة من الاستقرار السياسي والاقتصادي لروسيا, وأوضح ضرورة استعادة روسيا لمكانتها مع القوى الكبرى, وأبدى درجة عالية من الاستقلالية في صنع القرار الروسي على الصعيد الخارجي, وهذا ما انعكس على طبيعة العلاقات الروسية – المصرية, وهيأ المناخ لدفع هذه العلاقة إلى مستوى رفيع, وقد أتاحت المقومات والامكانيات المتاحة لكلا البلدين والعلاقات التاريخية السابقة للتعاون بينهما.

وفعلا انعقدت اللجنة الروسية — المصرية المشتركة عام ٢٠٠١ من أجل التعاون في المجالات التجارية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية في الفترة من ١٩ – ٢٥ ابريل , التي نتج عنها قيام الرئيس المصري حسني

مبارك بزيارة روسيا , التي أسفرت على التوقيع على اتفاقيات عدّة في مجال الاستخدام السلمي للطاقة النووية والاتصالات والاقمار الصناعية والتعاون في المجالات الطبية والدوائية.

وهذا ما جعل الرئيس الروسي بوتين عام ٢٠٠٥ يقوم بزيارة عمل لمصر, وهي أول زيارة على هذا المستوى خلال الاربعين عام الماضية, إذ التقى الرئيس حسني مبارك في القاهرة وتمّ اعتماد البيان المشترك حول تعميق العلاقات الودية بين مصر وروسيا الاتحادية, واعتماد السفير الروسي في مصر كممثل مفوض لدى جامعة الدول العربية , وهذا ما دعا الرئيس المصري حسني مبارك بالقيام بزيارة موسكو عام ٢٠٠٦ مع وفد رفيع المستوى, إذ وقعت مصر مع روسيا عدة اتفاقيات وبرامج طويلة الامد للتعاون في كافة المجالات, وجاءت الزيارة الثالثة من قبل حسني مبارك لروسيا عام ٢٠٠٨ من أجل توقيع اتفاقية التعاون في مجال استخدام الطاقة الذرية [٧].

وعلى أثر تلك العلاقات الايجابية بين البلدين قام رئيس الاتحاد الروسي (ديمتري ميدفيديف) بزيارة الجمهورية المصرية العربية في ٢٣ – ٢٤ يونيو من عام ٢٠٠٩, وأجرى الرئيس الروسي مفاوضات مع حسني مبارك تم التوقيع على معاهدة شراكة استراتيجية بين الدولتين حددت الخطوط الرئيسة للتعاون الثنائي.

وهنا يتضح لنا أنَّ العلاقات الروسية – المصرية قد وصلت في عهد حسني مبارك إلى أوج عظمتها وهذا يرجع إلى أنَّ النخب المصرية قد فقدت الثقة بالولايات المتحدة الامريكية بسبب انحيازها لإسرائيل, وهذا ما جعل روسيا تملئ الفراغ النسبي الذي تركته امريكا, ومن أجل كسب حلفاء لروسيا في الشرق الأوسط وافريقيا, يمكن أن تصبح من الدول الكبرى المتنفذة في المنطقة.

المطلب الثاني : العلاقات الروسية - المصرية بعد العام ٢٠١٥ :

تراجعت العلاقات المصرية الروسية نسبيا في اعقاب الاطاحة بالرئيس المصري حسني مبارك على أثر ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١, ووصول جماعة الاخوان المسلمين برئاسة محمد مرسي إلى الحكم في مصر, وتعامل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ببرود مع دعوات الرئيس المصري محمد مرسي الصريحة لبناء علاقات استراتيجية مع روسيا, إلّا أنَّ الروس يكونون عداء متأصل لأيّ حكم اسلامي (جهادي), وهذا يعود لحروب روسيا في افغانستان وقتالها ضد المجموعات الإسلامية المتطرفة.

وعلى الرغم من زيارة الرئيس المصري محمد مرسي لموسكو ولقائه بالرئيس الروسي بوتين في احدى المدن الصغيرة خارج موسكو إلّا أنَّ روسيا كانت متحمسة لتوثيق علاقاتها بالقاهرة في ظل حكم الاخوان.

وهذا يعود في اطار مخاوف روسيا الجدية من استغلال الإسلام السياسي لثورات الربيع العربي في الصعود للحكم, إذ تقيم موسكو هذه الثورات على أنَّها انقلابات مدعومة غربية, للإطاحة بالنظم الشرعية القائمة واستبدالها بنظم موالية للغرب على غرار الثورات الملونة في جورجيا واوكرانيا التي دعمها الغرب مستهدفا موسكو بها [٨].

إلّا أنَّ ثورة ٣٠ يونيو عام ٢٠١٣ أعادت تصحيح مسار العلاقات الروسية – المصرية و أواصر التعاون الاستراتيجي بينهما في مختلف المجالات, إذ كانت روسيا من أول الدول الداعمة لمصر وشعبها في موقفها من جماعة الاخوان المسلمين وحكمهم, وشبه الروس الفريق عبد الفتاح السيسي بالرئيس جمال عبد الناصر في قوته في التعامل مع الغرب(٩) .

وقد استفاد الروس من الموقف الامريكي والاوروبي المعارض للأحداث في مصر والقرار الامريكي بقطع المساعدات العسكرية لمصر, إذ ظهرت روسيا في الصورة بقوة وأبدت استعدادها للتعاون العسكري والاقتصادي مع مصر (١٠).

بالمقابل وجدت مصر في روسيا داعما عالميا قويا وسط تلك الأجواء السياسية المضطربة, وفي الوقت ذاته أرادت روسيا استعادة نفوذها القديم في مصر ابان وجود الاتحاد السوفيتي, فبسطت روسيا ذراعيها للنظام المصري الجديد بإمدادات سلاح متطور واهداءات عسكرية للجيش المصري(١١), مما حفز هذه العلاقات بين البلدين الزيارات الخمس التي قام بها السيسي لروسيا ابتداءً من عام ٢٠١٣ .

إذ أعاد الرئيس عبدالفتاح السيسي التوازن في سياسة مصر الخارجية لا سيما بعد زيارته لروسيا يومي ١٢ – ١٣ اغسطس عام ٢٠١٤ , التي أعطت زخما كبيرا في العلاقات السياسية بين البلدين(١٢).

هذا ما دعا الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لزيارة مصر يومي ٩ –١٠ فبراير عام ٢٠١٤ بدعوة من الرئيس المصري السيسي وعلى أثر تلك الزيارة , تمّ توقيع اتفاقيات ومذكرات تفاهم بحضور الرئيسين, وتمّ الاتفاق المبدئي لإنشاء محطة لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية وتوقيع مذكرات تفاهم بين وزارة الاستثمار المصرية ووزارة التنمية الاقتصادية الروسية, لتشجيع وجذب الاستثمارات الروسية والاتفاق بين وزارة الاستثمار المصرية وصندوق الاستثمار الروسي لتعزيز التعاون الاستثماري بين الدولتين(١٣).

زيادة على ذلك تمّ الاتفاق بين الجانبين على الاستمرار في تعزيز التعاون العسكري بين البلدين ولاسيما في ظل الظروف الراهنة ودفع علاقات التعاون الاقتصادي والتجاري بين الدولتين وازالة المعوقات التجارية وإقامة منطقة التجارة الحرة بين الاتحاد الجمركي الاوراسي ومصر, وتعزيز التعاون في مجال الطاقة بمختلف أنواعها وتعزيز علاقات التعاون في مجال السياحة والتعاون في مجال مكافحة الإرهاب(١٤).

كانت القاهرة تنظر إلى موسكو على أنَّها (حليف استراتيجي قوي) في اطار تعدد الشراكات المصرية مع القوى الدولية التقليدية ، بالمقابل تنظر موسكو إلى القاهرة على أنَّها (مركز هام لصناعة القرار) في محيطها الإقليمي.

وفي عام ٢٠١٥ قام الرئيس الروسي بوتين بزيارة رسمية لمصر لدعم العلاقات بين الجانبين والتوقيع على عدد من المشاريع المشتركة لا سيما مشروع إنشاء محطة كهربائية تعمل بالطاقة النووية .

وبمناسبة أعياد النصر الروسية عام ٢٠١٥ تلقى عبدالفتاح السيسي دعوة من بوتين للمشاركة في هذا الاحتفال علما أنَّ روسيا لم توجه الدعوة لأيّ رئيس بلد عربي سوى الرئيس السيسي , وهذا خير برهان على تطور العلاقات المصرية الروسية ودفعها نحو الأمام من أجل بناء استراتيجية طويلة الامد بين الجانبين.

وتوالت الزيارات بين الجانبين ففي ٢٠١٧/١٢/١١ قام في فلاديمير بوتين بزيارة القاهرة, استقبله الرئيس المصري السيسي, وبحث الجانبان أطر التعاون في المجالات المختلفة لا سيما السياسية والاقتصادية وفي مجال الطاقة زيادة على التشاور بشأن عدد من القضايا والملفات الإقليمية ذات الاهتمام المشترك, فضلاً عن ذلك اجتمع وزيرا الخارجية والدفاع الروسية لكل من موسكو والقاهرة , اطلق عليه (٢ + ٢) وهذه الآلية تجمع روسيا بست دول فقط, ومصر هي الدولة العربية والافريقية الوحيدة بين تلك الدول.

وأعقبها زيارة السيسي إلى روسيا في ٢٠١٨/٨/١٥ , إذ استقبله الرئيس الروسي بوتين وبحث الجانبان سبل تعزيز العلاقات الثنائية المتميزة بين البلدين على الاصعدة كافة.

بالمقابل أشادت الصحف الروسية بزيارة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي, فذكرت صحيفة "نيزافيسيمايا جازيتا" أنَّ الرئيس السيسي أثناء كلمته أمام مجلس الاتحاد الروسي (الغرفة العليا للبرلمان) دعا إلى تعزيز العلاقات بين مصر وروسيا وتطويرها في كافة المجالات، بما فيها الاستثمارات وعودة السياحة الروسية إلى المنتجعات المصرية, وأوردت الصحيفة أيضًا من كلمة الرئيس السيسي أمام مجلس الاتحاد الروسي دعوته إلى ضرورة مكافحة الإرهاب وحل النزاعات بالطرق السلمية والدبلوماسية.

ولفتت "الجريدة الروسية" إلى ثناء الرئيس السيسي على تاريخ العلاقات بين موسكو والقاهرة، ولاسيما إشارته إلى حلول الذكرى الـ ٧٥ في هذا العام لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

ونوهت الصحيفة إلى لقاء الرئيس السيسي مع رئيسة مجلس الاتحاد الروسي فالينتينا ماتفيينكو، موضحة أنَّ هذا ليس اللقاء الأول بينهما إذ زارت ماتفيينكو القاهرة والتقت بالرئيس السيسي.

وأوضحت الصحيفة أهمية المشاريع الواعدة بين البلدين، مركزة على مشروع الضبعة والمنطقة الصناعية الروسية في مصر , وغير ذلك من مشاريع محتملة مستقبلًا[١٥].

وعلى هامش القمة الروسية الافريقية التي عقدت عام ٢٠١٩ في روسيا في منتجع (سوتشي) التقيا الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي الذي كان يترأس الاتحاد الافريقي بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي كان يترأس القمة, إذ ناقش الزعيمان مشاريع اقتصادية بين البلدين شملت بناء محطة للطاقة النووية والمنطقة الصناعية الروسية في مصر, واشار بوتين إلى زيادة نسبة الاستثمارات الروسية في مصر إذ وصلت ما قيمته 7.7 مليار دولار, مؤكدا أنَّ هذا العام ستستثمر روسيا ١٩٠ مليون دولار في مشاريع البنية التحتية والاجمالي يصل إلى 7 مليارات دولار, ومن جهة ثانية أعرب السيسي عن اهتمام بتوطيد العلاقات الاقتصادية مع روسيا التي أسماها (الشريك الموثوق للقارة الافريقية)[١٦].

وعن طريق استعراض الزيارات المتبادلة بين الدولتين اتضح لنا الملامح الرئيسة للسياسة الروسية تجاه الشرق الأوسط عامة ولاسيما مصر, إذ أرادت روسيا إعادة تشكيل توازن القوى في العالم ومزاحمة الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة, لاسيما أنَّ السياسة الامريكية في عهد الرئيس الامريكي السابق (باراك اوباما) باتجاه المنطقة شهدت انسحاباً امريكياً في كثير من الملفات, مما أتاح لروسيا ملئ الفراغ وإعادة ميزان توازنات القوى الدولية.

أما الميزة الثانية لروسيا فقد أرادت ربط مصالحها الاقتصادية بمنطقة الشرق الأوسط زيادة على البعد الجيوستراتيجي للعلاقات الروسية مع الشرق الأوسط , ويظهر البعد الاقتصادي الذي يحتل اولوية لدى الجانب الروسي, وهذا سنوضحه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: المتغيرات (السياسية والاقتصادية) المؤثرة في العلاقات الروسية – المصرية:

شهدت العلاقات الروسية – المصرية بالامتداد التاريخي، يغلب عليها طابع المتغيرات وقد ظهر ذلك في كثير من المتغيرات , ومنها محل الدراسة (السياسية والاقتصادية), وقد امتازت العلاقات بين الطرفين نتيجة تقارب المصالح وتوافقها حول كثير من القضايا، على الرغم من المتغيرات الداخلية والخارجية التي عملت على تغيير النظام الدولي، إلّا أنَّ العلاقات الروسية – المصرية ما زالت راسخة لكونها تستند إلى روابط تاريخية وحضارية وهذا الأمر تنظر إليه روسيا الاتحادية ازاء مصر بوصفها دولة محورية في المنطقة , وشريكا استراتيجيا لها، لذلك سنقسم المبحث على: المتغيرات السياسية والأمنية والأخرى الاقتصادية التي تعدّ من أهم المتغيرات في الوقت الحاضر, التي تنقسم إلى مطلبين اثنين:

المطلب الأول: المتغيرات السياسية المؤثرة في العلاقات الروسية - المصرية:

أولاً: أحداث الربيع العربي وأثره في العلاقات الروسية - المصرية :

تمثل أحداث (الربيع العربي) منعطفا حاسما في تاريخ العالم العربي المعاصر إذ أنَّها لم تغير المنطقة من الداخل بنحو لافت فحسب, بل أنّها اتخذت المواقع الإقليمية للأطراف الخارجية الفاعلة الرئيسة(١٧).

وعلى أثر تلك الثورات العربية انغمست المنطقة العربية في مستنقع الأزمات بدءا من تونس إلى مصر وصولا إلى ليبيا ثم اليمن والبحرين, وادت هذه الثورات إلى انفجار الوضع في سوريا وزادت وتيرة التوترات والاضطرابات بين دول المنطقة, فبعد أن تحولت المواجهة بين الأنظمة والمعارضة إلى حرب مفتوحة دخل كثير من اللاعبين الخارجين ساحة المعركة(١٨).

وكان الاعتقاد الروسي أنَّ استقرار منطقة الشرق الأوسط يؤثر مباشرة في استقرار المناطق للحدود الجنوبية الغربية الروسية, ومن ثمّ في استقرار المنطقة على وفق وجهة نظرها؛ فضلاً عن الاعتقاد الروسي بالرغبة الامريكية التي واكبت ثورات الربيع العربي, في أحداث تغييرات جديدة في منطقة الشرق الأوسط, إذ ان امريكا تحافظ عن طريقها على مصالحها ونفوذها في المنطقة, مما دفع روسيا أن تولي اهتماما كبيرا بمزاحمة الولايات

المتحدة على النفوذ والسيطرة داخل منطقة الشرق الأوسط, لإدراكها أنَّ المرحلة السائبة التي تمر بها المنطقة تتسم بتغييرات سريعة ومفاجئة ستسفر عن إعادة رسم خريطة القوى والتحالفات في المنطقة, وهو ما لا تريد روسيا أن يمر من دون أن يكون لها في تلك الخريطة الجديدة وجود ودور فاعل وبارز, ولا تزال الفرصة سانحة وبقوة لروسيا لكسب مساحات أوسع في صراعها مع الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط, لاسيما أنَّ الإدارة الامريكية باعترافها بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني (اسرائيل) وفرت لروسيا فرصة لتعمق جذورها أكثر في المنطقة عبر القضية الفلسطينية, ولتؤدي دورا حياديا , ويختلف عن التحيّز الامريكي الواضح للكيان الاسرائيلي(١٩).

ويلاحظ أنَّ الموقف الروسي من الثورات العربية تميّز بموقفين: الأول هو تفاوت الاهتمام الروسي بثورات الربيع العربي من دولة عربية لأخرى, فقد حظيت التطورات في ليبيا وسوريا بالاهتمام الأكبر من جانب روسيا يلي ذلك مصر ثم اليمن والبحرين مع تفاوت واضح بالاهتمام, في حين لم تحظ تونس باهتمام يذكر.

أمّا الموقف الثاني الروسي فتميزت به الثورات العربية بالتحفظ النسبي والتأني الواضح الذي وصل حد البطء في رد الفعل, والتزمت روسيا الصمت ازاء الأحداث لحين نضجها وتفاقمها , أو ازاحة من في السلطة كما حدث في مصر , ففي ٢٨ يناير عام ٢٠١١ , في حين كان يرى (قسنطين كرساتشيوف) رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الدوما الروسي (أنَّ الوضع في مصر تؤججه قوى متطرفة تحاول الاستيلاء على السلطة خلسة)(٢٠).

واختلف الموقف الروسي في الحالة المصرية بدرجة كبيرة, فعلى الرغم من الحذر الشديد الذي بدا على السياسة الروسية عند اندلاع الاحتجاجات المصرية, فلم تصدر أيّ ردة فعل مؤيدة أو معارضة وإنما اكتفت تراقب وتنتظر ما ستسفر عنه ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١ وذلك لسببين: الأول هو عدم ارتياح روسيا لوصول الاخوان المسلمين للحكم, بينما تمثل الثاني: بموقف الدول الكبرى والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوروبي المساند لحكومة الاخوان(٢١).

ولكن بعد ثورة ٣٠ يونيو عام ٢٠١٣ وسقوط حكم الاخوان, ومجيء حكومة عبد الفتاح السيسي, تنفس الروس الصعداء, لاسيما وأنَّ الموقف الامريكي كان ضد الانقلاب على حكم الاخوان المسلمين(٢٢), إذ أيدت روسيا ما قامت به القوات المسلحة المصرية بالانقلاب العسكري على حكومة الاخوان, واتخذت موقفا داعما للحكومة المصرية من أجل تقوية العلاقات بين القاهرة وموسكو من خلال الجلسة , التي عقدها الأمن الدولي في منتصف اغسطس عام ٢٠١٣ , وذلك لرفضها إصدار المجلس أيّ بيانات تدين الانقلاب العسكري في مصر, وزيادة على ذلك عقد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين اجتماعاً عاجلاً مع قادة الجيوش الروسية ومسؤولي أجهزة المخابرات في ١٦ اغسطس عام ٢٠١٣ لبحث الوضع في مصر , وامكانية تقديم المساعدة للجيش المصري وإقامة تعاون عسكري بين مصر وروسيا في المستقبل القريب (٢٣).

ثانيا : التعاون الروسي - المصري في مجال مكافحة الإرهاب :

امتازت العلاقات الروسية – المصرية بطابع التعاون في كثير من المحاولات السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية , وجاء هذا التعاون نتيجة تقارب مصالحهما الوطنية وتوافقهما حول إدارة كثير من القضايا الراهنة على الرغم من المتغيرات الإقليمية والدولية التي بالنظام العالمي.

ومن تلك القضايا الراهنة التعاون في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف, إذ تشهد منطقة الشرق الأوسط تطورات أمنية كبيرة عقب الثورات التي اجتاحت المنطقة , وتسببت في حالة من الفوضى والصراع الأمني, وهذا أدى إلى ظهور جماعات ارهابية لها اجندات خاصة, سيما وأنَّ هناك تعاوناً استراتيجياً بين مصر وروسيا, فالروس لديهم قدرات استخباراتية ومعلومات متفوقة ومتقدمة كثيراً ولديهم رؤية تتطابق مع الرؤية المصرية لضرورة مكافحة الإرهاب واستئصال جذوره من المنطقة كاملة , وأدرجت روسيا جماعة الاخوان المسلمين وعدد من الجماعات الإسلامية المتطرفة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية لديها منذ عام ٢٠٠٣ بقرار من المحكمة العليا الروسية, إذ أنَّها تخوفت من صعود التيارات الإسلامية السياسية المتطرفة في منطقة الشرق الأوسط, إذ رأت روسيا أنّه سيؤدي إلى توسيع نشاط القاعدة والجماعات الإرهابية المتطرفة وهذا يؤدي إلى صدى في الداخل الروسي الذي لا يزال يعاني من الإرهاب في اعقاب الموجات العنيفة , من عدم الاستقرار في منطقة القوقاز الروسي طوال التسعينات [٢٤] .

وعلى أثر ذلك تم إنشاء لجنة روسية مصرية مشتركة معنية بمكافحة الإرهاب الدولي عقب اجتماعها عام ٢٠٠٨ , إذ تم الاتفاق على توسيع نطاق التنسيق والتعاون بين الدولتين , يشمل مكافحة الإرهاب الالكتروني والجريمة الالكترونية[٢٥], لاسيما وأنَّ روسيا مهتمة بمكافحة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط, إذ بدأت بالتصدي لتنظيم داعش الإرهابي منذ ظهوره عام ٢٠١١ , إلّا أنّها تدخلت عسكريا في محاربة هذا التنظيم عام ٢٠١٥؛ وذلك يأتي بسبب أبحاث روسيا بضرورة دحر الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط حتى لا يصل إليها لا سيما وأنَّ تنظيم داعش الإرهابي هدد باستهداف روسيا واحتلال الكرملين, زيادة على ذلك هجرة أعداد كبيرة من (الدواعش) للاستقرار في افغانستان , التي تعدّ مجاورة نسبيا للأراضي الروسية مهددة أمنها القومي, لا سيما وأنَّ روسيا تسعى للحفاظ على حلفائها في المنطقة.

والجدير بالذكر إنَّ العلاقات المصرية الروسية لم تنأى من براثن الإرهاب, ففي ٣١ اكتوبر عام ٢٠١٥ تحطمت طائرة الركاب الروسية بعد أن أقلعت من مطار شرم الشيخ بسبب هجوم إرهابي , أسفر ذلك الهجوم عن مقتل جميع الركاب الروس البالغ عددهم (٢٢٤) شخصا, وتبنى تنظيم داعش الإرهابي المسؤولية عنه[٢٦].

وردا على ذلك حظرت روسيا جميع الرحلات الجوية المباشرة إلى مصر ليس ذلك فحسب؛ بل قام رئيس الوزراء الروسي (ديمتري ميديفيدف) بالإشراف على إجلاء ما يصل إلى ٢٥ الف سائح من أصل ٨٠ الف سائح روسي, وبذلك خسرت مصر ما يقارب ٣ مليار دولار امريكي سنويا[٢٧].

لا شك أنَّ تعليق الرحلات الجوية أثر سلباً في الاقتصاد المصري , وكذلك أثرت تلك الحادثة الإرهابية في تطور العلاقات بين الدولتين , وتعرضت تلك العلاقات إلى فتور واضح وبدأ الحديث عن تراجع وتيرة العلاقات التي اتسمت بالدفء والتسارع بعد ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١[٢٨].

إلّا أنَّ قوة العلاقات بين البلدين أسهمت في مواجهة ازمة تحطم الطائرة الروسية والقيام بالتعاون في مكافحة الإرهاب والقضاء عليه, وعلى أثر ذلك تم الاتفاق على القيام بتدريبات عسكرية مشتركة بين روسيا ومصر سميت بتدريبات (حماة الصداقة) وهي تدريبات تمت لأول مرة بين الجيش المصري ونظيره الروسي في المدة من ١٥ إلى ٢٦ اكتوبر عام ٢٠١٦ على الأراضي المصرية , وشارك في تلك التدريبات من المظلات المصرية وقوات الانزال الجوي الروسية , وكان عدد الجنود المشتركين في التدريبات أكثر من (٧٠٠) جندي من البلدين, وجاءت هذه التدريبات نظرا لان الخبراء العسكريون الروس يرون أنَّ التدريب في بيئة صحراوية هو استعداد لمكافحة الإرهاب لكلا الدولتين وبحسب وزارة الدفاع الروسية فأنَّ تدريبات حماة الصداقة عام ٢٠١٦ قد ركزت على الخطوات التي يتوجب على المظلي تنفيذها أثناء اقتحام المدن والافراج عن الرهائن, وأنَّ القوات المشاركة في التدريبات تنفذ إجراءات عسكرية مشتركة لتحديد وتدمير التشكيلات المسلحة الإرهابية في الصحراء[٢٩].

وفي ٢٨ اغسطس عام ٢٠١٧ أعلنت وزارة الدفاع الروسية أنَّ تدريبات حماة الصداقة الثانية ستجري في الشهر القادم , وفعلا في ١٠ سبتمبر عام ٢٠١٧ أعلن الجيش المصري عن انطلاق فعاليات التدريب المصري الروسي المشترك (حماة الصداقة ٢) في مدينة (نوفورسيسك) الروسية , وسيستمر التدريب حتى ٢٢ سبتمبر بين وحدات المظلات المصرية وقوات الانزال الروسية , وأعلنت وزارة الدفاع الروسية أنَّ تلك التدريبات ستقام في منطقة جبلية ذات مناخ شبه استوائي جاف وهو المناخ الذي يشبه الطقس في شمال سيناء حيث تواجد الإرهابيين في مصر[٣٠].

وفي عام ٢٠١٨ استضافت مصر تلك التدريبات[٣١], مما جعل تلك التدريبات العسكرية ترفع من درجة التعاون إلى مستوى جديد في العلاقات, وهذا يدل على أنَّ روسيا مستعدة لدعم القاهرة في حربها ضد الإرهاب الناشئ من سيناء وليبيا, وكذلك أنشأت روسيا ومصر منصة عمل لتبادل الخبرات في مجال مكافحة الإرهاب[٣٢].

وخير دليل على التعاون المصري الروسي في مجال مكافحة الإرهاب ما ذكرته القناة الفضائية المصرية في أحد البرامج يوم ٥ اكتوبر عام ٢٠١٧ أنَّ وكالة تاس الروسية للأنباء قد ذكرت أنَّ الاستخبارات المصرية قد منعت هجومين ارهابيين في روسيا عن طريق معلومات أمدت بها نظيرتها الروسية , وهو ما يوضح استمرار الاتصالات على مستوى عال بين القاهرة وموسكو مما يمكن أن يكون له أثر ايجابي في حلحلة الموقف الروسي ازاء مسألة عودة السياحة الروسية إلى مصر بعد أن توقفت بسبب حادثة سقوط الطائرة الروسية[٣٣].

وما عزز التعاون بين البلدين في مجال مكافحة الإرهاب وهو قيام وزير الخارجية الروسي (سيرجي لافروف) ووزير الدفاع الروسي (اشويفو لافرون) بزيارة مصر عام ٢٠١٧, والتقيا بالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إذ تركزت المحادثات على مكافحة الإرهاب والتصدي له , وهذا ما جعل وزير الخارجية المصري (سامح شكرت) يصرح في مؤتمر صحفي مع نظيره الروسي (سيرجي لافروف) حول تتطلع مصر في توظيف روسيا كل الامكانيات المتاحة لديها للعمل المشترك مع مصر للقضاء على الإرهاب, وأشار إلى أنَّ التنسيق الوثيق مع روسيا في الاطار الأممي , والتعاون على المستوى الاستخباراتي والأمني أيضاً للقضاء على ظاهرة الإرهاب في المنطقة(٣٤).

وهذا ما جعل وزارة الدفاع الروسية تصرح أنَّ موسكو ستزيد تعاونها العسكري مع القاهرة ؛ لتعزيز قدرة قوات الأمن المصري على مكافحة الإرهاب(٣٥).

المطلب الثاني : المتغيرات الاقتصادية المؤثرة في العلاقات الروسية - المصرية :

شكلت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين روسيا ومصر حلقة هامة في اطار التعاون المشترك بين البلدين , إذ تعود العلاقات الاقتصادية إلى الخمسينات والستينات من القرن العشرين, لاسيما في عهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر وحكومة الاتحاد السوفيتي, إذ ساعدت المعونات السوفيتية في إنشاء ٩٧ مؤسسة صناعية كبيرة بما في ذلك سد اسوان ومصانع الحديد والصلب في محافظة حلوان, فضلاً عن نصب ابراج الكهرباء لمئات الكيلومترات في مصر(٣٦).

على أنَّ الخطوة الأولى للتعاون التجاري الروسي المصري كانت عام ١٩٤٨ عندما وقعت أول اتفاقية اقتصادية حول مقايضة القطن المصري بحبوب وأخشاب من الاتحاد السوفيتي(٣٧).

في حين مثلت المنطقة العربية سوقا هاما ذات قوة استيعابية كبيرة للصادرات الروسية مثل الآلات الزراعية والمعدات والأجهزة والشاحنات والحبوب , ففي عام ٢٠٠٦ بلغ التبادل التجاري بين روسيا والدول العربية ٥،٥ مليارات دولار , إذ تأتي مصر في مقدمة الدول العربية التي نشطت اقتصاديا بالتبادل السلعي بينها وبين روسيا(٣٨).

أخذت العلاقات الروسية المصرية زخما كبيرا بعد الانقلاب العسكري على الاخوان المسلمين في ٢٠١٣/٦/٣٠ , الذي يعد تاريخا فارقا في مسار العلاقات بين البلدين , ولاسيما في المجال الاقتصادي, ومما ساعد على توطيد العلاقات بين الدولتين توتر العلاقات المصرية الامريكية بعد الاطاحة بنظام الاخوان المسلمين, في الوقت الذي أيدت روسيا الإرادة الشعبية المصرية, فوجدت مصر في روسيا داعما عالميا قويا وسط تلك الأجواء السياسية المضطربة, بالمقابل كانت هناك إرادة روسية لاستعادة نفوذها القديم في مصر ابان مرحلة الاتحاد السوفيتي , وتكللت تلك العلاقة بقيام الشركة الروسية المملوكة للدولة (روساتوم) بتوقيع اتفاق لبناء مفاعل الضبعة النووي(٣٩).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مشروع الضبعة النووي هو عبارة عن خمسة مشروعات في مشروع واحد , وهذا المشروع يمثل أكبر مشروعات روسيا خارج الاتحاد الروسي , وهذا ما جعل الرئيس الروسي بوتين يولي اهتماما كبيرا لمشروع الضبعة النووي , وعدّ هذا المشروع رمزا جديدا للعلاقات التاريخية التي تجمع البلدين(٤٠).

في حين وصل حجم التبادل التجاري بين القاهرة وموسكو في عام ٢٠١٤ إلى ٥،٤٢ مليار دولار, وزيادة على ذلك بلغت عدد الشركات الروسية العاملة في مصر ٤٠٠ شركة, وهذا دليل على أنَّ روسيا كانت عازمة على بناء شراكة اقتصادية طويلة الأمد مع مصر(٤١).

وفي تقرير نشرته جريدة الاهرام عن السفير المصري في روسيا (عزت سعد) حول العلاقات الروسية المصرية , مشيراً إلى أنَّ هناك تغيرات في المنطقة أعطت زخما كبيرا في العلاقات بين البلدين جوهرها في التعاون الاقتصادي وهذا مما زاد في قوة العلاقات بين الدولتين , مؤكدا أنَّ هناك حراكا في الملف الاقتصادي الروسي داخل مصر , وهذا ما أكده الصحفي الروسي (ديمتري فينتكي), وموضحا أنَّ التبادل التجاري بين الدولتين عام ٢٠١٥ قد بلغ ٣ مليارات و٧٠٠ مليون دولار منها صادرات مصرية لروسيا بلغت ٣٧١ مليون دولار , بينما بلغت الصادرات عن روسيا لمصر ٣ مليارات و٣٧٠ مليون دولار(٤٢).

وأثناء زيارة الرئيس الروسي بوتين لمصر عام ٢٠١٥ أبرم الطرفان المصري والروسي عدداً من الاتفاقيات بشأن المشروعات المشتركة بين الدولتين من بينها إنشاء محطة كهربائية تعمل بالطاقة النووية في مصر وكذلك توسيع التعاون في مجالات المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتبادلات التجارية والزراعية والسياحية وما سواها من مجالات التعاون المشترك(٤٣) .

ولا شك أنَّ المنتجات الزراعية والطاقة والأسلحة تهيمن على هذه التبادلات التجارية , إذ شكلت المنتجات الزراعية الروسية المصدرة إلى ما إلى مصر ما يقارب ٣٠٪ (٤٤), سيما وأنَّ روسيا تعد أكبر مصدر للحبوب في مصر إذ توفر ما يقارب 65 % من احتياجات السوق المصري من هذه المادة , وبلغ حجم التبادل التجاري في عام٢٠١٦ نحو ٤،١٥ مليار دولار , إذ بلغت الصادرات الروسية إلى مصر ٣،٧٨ مليار دولار, وبلغت صادرات مصر إلى روسيا ٣٦٨ مليون دولار , وأهم بنود تلك الصادرات من روسيا إلى مصر مواد الطاقة والمنتجات المعدنية , وكانت الصادرات المصرية إلى روسيا هي فواكه وخضروات(٤٥).

واستطاعت مصر الحصول على قرض روسي يبلغ 25 مليار دولار من أجل تمويل إنشاء وتشغيل محطة الضبعة النووية التي يشرف على إنشائها العلماء الروس , ويبلغ أجل القرض ٢٢ عاما بفائدة ٣٪ سنويا وفي الوقت ذاته , تبلغ الاستثمارات التي تنوي روسيا القيام بها في المنطقة الصناعية شرق قناة السويس ٤،٦ مليار دولار(٤٦).

وبهذا الجانب أعرب مدير إدارة التعاون الدولي والتراخيص في مجال التجارة الخارجية بوزارة الصناعة والتجارة الروسية (رومان تشيكوشف) أنَّ الهيأة العامة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس أعربت عن تقديرها الكبير للخطة الرئيسة للمشروع , وستبدأ الموافقة الرسمية عليها في المستقبل القريب.

من جانب آخر أكد مدير منطقة السويس الاقتصادية (يحيى زكي) أنَّه تم التوقيع على الشروط الرئيسة لعقد التطوير بما في ذلك مدّة ايجار قطعة الأرض التي ستقام عليها المنطقة الصناعية وحجمها واحداثياتها وكذلك سعر الايجار(٤٧).

وقد أعربت روسيا عن أملها في أن يشهد عام ٢٠١٩ خطوات جديدة لتطوير هذا المشروع , الذي سوف يكون مفيدا لمصر وروسيا , التي ترغب في تصدير منتجاتها إلى الدول الافريقية والعربية من دون جمارك, وبشأن الجانب المصري ستستفيد القاهرة من نقل التكنولوجيا الروسية , وفرص عمل للمصريين وانتاج منتجات يكتب عليها صنع في مصر, ويعمل المسؤولون المصريون والروس على مناقشة بعض التفاصيل للمنطقة الصناعية أمام رغبة الشركات الروسية في معرفة المزيد حول مميزات هذه المنطقة الصناعية , فهناك ٣٦ شركة تعمل في مجالات مختلفة مثل : انتاج زيوت السيارات , والمصابيح الكهربائية , وعربات القطار , والصناعات الغذائية(٤٨).

وتمثل مشاريع الغاز الطبيعي التي تتطلع إليها روسيا مع الجانب المصري في طليعة تلك الاستثمارات في ظل سعي روسيا لأحكام قبضتها على سوق الغاز الطبيعي في اوروبا , وفي ظل ادراكها بتحول مصر في المستقبل القريب إلى أحد الموردين للغاز الطبيعي في المستقبل القريب, وهو ما دفع روسيا في أواخر عام ٢٠١٦ عبر شركة (روس نفط) إلى الاستحواذ على نسبة ٣٠٪ من منطقة (امتياز شروق) , التي يقع فيها حقل (ظهر) المصري, ولتصبح (روس نفط) طرفا في مشروع تطوير أكبر حقل للغاز في البحر المتوسط (٤٩).

ونتيجة لهذا الحراك الاقتصادي بين البلدين لا سيما في عام ٢٠١٨ إذ بلغ اجمالي الشركات الروسية العاملة في مصر (٤٥١) شركة باستثمارات بلغت ٧١،٢٣ مليون دولار وتوفر ٤٣٩٥ فرصة عمل , وهذا ما جعل التبادل التجاري لمصر مع روسيا يرتفع بنسبة ٣٧٪ في النصف الأول من عام ٢٠١٨ مقارنة بالمدّة نفسها من عام ٢٠١٧ مسجلا ٣،٢١٢مليار دولار(٥٠).

وهذا التحسن في العلاقات الاقتصادية جعل مصر فعليا ثاني أكبر شريكاً لروسيا في الشرق الأوسط وشمال افريقيا بعد تركيا , وهناك امكانيات يجب تطويرها لاسيما في مجال الطاقة , وقطاعات التصنيع, وقد تمكنت روسيا من استغلال الروابط التاريخية والاستفادة من الشقوق في علاقة مصر بالولايات المتحدة الامريكية, ومع ذلك فأنَّ التعاون الاقتصادي والاستثماري له حدود , فليس لدى الاقتصاد الروسي الذي شهدته العقوبات الدولية فرصة للمنافسة على المدى الطويل مع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوروبي, وكلاهما لديه كثير ليقدمه , لاسيما فيما يتعلق بالتكنولوجيا والاستثمار الطويل الأمد.

وعلى الرغم من ذلك فقد قام وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف بزيارة هامة إلى مصر في ١٢ ابريل عام ٢٠٢١ استقبله فيها الرئيس عبد الفتاح السيسي , وجاءت هذه الزيارة بعد موافقة البرلمان المصري في يناير عام ٢٠٢١ بتفعيل اتفاقية الشراكة الاستراتيجية الشاملة مع روسيا , وتشمل هذه الاتفاقية تسهيل التبادلات التجارية والعلاقات الاقتصادية بين الدولتين ؛ فضلاً عن تعاون رفيع المستوى في القضايا المتعلقة

بمكافحة الإرهاب والصفقات العسكرية والهجرة غير الشرعية ومشروعات توليد الطاقة الكهربائية باستخدام الطاقة النووية.

وفضلاً عن ذلك بحث الطرفان تنفيذ المشروعات المتفق عليها بشأن محطة الضبعة النووية لتوليد الكهرباء وإنشاء المنطقة الصناعية الروسية في المنطقة الاقتصادية لقناة السويس, إذ بلغ اجمالي هذه الاستثمارات الروسية بـ ٧ مليارات دولار, وكذلك تعهد وزير خارجية روسيا بالتزام موسكو بتوريد عربات السكك الحديدية إلى مصر إذ تمّ عقد صفقة لتوريد ١٣٠٠ عربة قطار لصالح هيأة السكك الحديدية المصرية.

ويلاحظ أنَّ هذه الزيارة جاءت مع تصاعد هذه الأزمات في منطقة الشرق الأوسط نتيجة لتفشي وباء كوفيد ١٩ , وفشل مفاوضات البرنامج النووي الايراني مع وكالة الطاقة الدولية , وتعثر عملية السلام الفلسطينية الاسرائيلية واستمرار الصراعات المختلفة في سوريا وليبيا والتدهور الاقتصادي في لبنان والشرق الأوسط ؛ فضلاً عن التوتر الحاصل والجمود في العلاقات الروسية الامريكية, إذ وصل مستوى غير مسبوق لاسيما بعد تولي الرئيس الامريكي (جو بايدن) رئاسة البيت الابيض, إذ أبدى موقفا أكثر تشددا اتجاه نظيره الروسي فلاديمير بوتين مقارنة بسلفه (رونالد ترامب), زيادة على ذلك التهديدات الامريكية المستمرة بفرض عقوبات اقتصادية صارمة على روسيا بالتعاون مع حلفائها الاوروبيين ؛ بسبب الأزمة الاوكرانية , وسجن السلطات الروسية للمعارض البارز اليكس تافالتي الذي تطالب الدول الغربية بإطلاق سراحه, كلّ هذا التوتر جعل روسيا تتوجه مؤخرا إلى منطقة الشرق الأوسط من أجل تخفيف حدة العقوبات الدولية عليها , وهذا ما جعل موسكو تعقد شراكة اقتصادية وسياسية طويلة الأمد مع القاهرة [٥١].

مما تجدر الإشارة إليه أنَّ في هذه المرحلة انخفض التبادل التجاري بين البلدين من ٦،٢٥ مليار دولار في عام ٢٠١٩ إلى ٤،٥٤ مليار دولار في عام ٢٠٢٠؛ ويعود السبب في ذلك الانخفاض إلى جائحة كوفيد ١٩ التي أسفرت عن تقليص النشاط التجاري بين البلدين [٥٢].

وتعد الصفقات العسكرية التي أبرمتها روسيا مع مصر ذات جنبة اقتصادية وسياسية معا, إذ عقدت الدولتان أكثر من ١٤ صفقة عسكرية لتسليح الجيش المصري تنوعت بين طائرات ياك١٣٠ ،الطائرات "ميل مي ١٧ ،" طائرات سو ٣٠ كا، طائرات "ميج٢٩ ،"طائرات "مي-٣٥ ،"طائرات"٥٢" "ka-التمساح"، النظام الصاروخي ''تور إم٢ ،''منظومة صواريخ "إس – ٣٠٠ بي أم"، صواريخ "كورنيت"، الدبابة "تي ٩٠ ،'' قاذفات" آر بى جي٣٢ ،قطع بحرية من طراز "مولينا" ٣٢ P ، وتقدر مبالغ الصفقات العسكرية تلك بمليارات الدولارات, وكان هدف الروس السياسي من تلك الصفقات يكمن في حجب بعض القطع العسكرية من الجانب الامريكي عن القاهرة بسبب فض ميداني رابعة العدوية ونهضة مصر، من قبل النظام المصري، ولذلك أصبحت دولة روسيا الاتحادية مصدر تسليح الجيش المصري بشكل كبير.

الخاتمة:

من دراستنا للمتغيرات المؤثرة في العلاقات الروسية – المصرية، ولاسيما في عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي وحتى وقتنا الراهن، يمكن القول: إنَّ العلاقات الروسية – المصرية شهدت تحولاً ملحوظا على المستوى الاستراتيجي، وإنَّ العلاقات أصبحت متعددة الجوانب ومتفاعله بشكل كبير حتى الآن، ومما تقدم توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات الآتية:

١ – تبقى روسيا الاتحادية القوى العظمى التي وصلت إلى مرحلة من الشراكة الفاعلة والمؤثرة مع مصر سياسيا واقتصاديا وعسكريا وتجاريا ، وهذه الشراكة تقوم على المصالح المبادلة في إطار السياسة الخارجية الأوسع التي تبنتها مصر ؛ لاسيما في عهد الرئيس السيسي.

٢ – تعمل مصر على بناء قوى إقليمية في المنطقة والحفاظ على الدولة الوطنية وسيادتها بوصفها حجر الأساس في بناء النظام الإقليمي.

٣ – تطورت العلاقات بين روسيا ومصر من خلال الزيارات المتبادلة بين مسؤولين الدولتين والتوجه نحو عقد اتفاقيات ومذكرات تفاهم واتفاقيات اقتصادية وزيادة التبادل التجاري.

٤ – التعاون المتبادل على محاربة الإرهاب الذي تعاني منه المنطقة وجعل الاتفاقيات مستمرة.

٥ – إنَّ تحركات روسيا الاتحادية على مسرح عمليات الشرق الأوسط , تقوم على تمسك بدور فاعل لروسيا في الأزمات الإقليمية.

٦ – إنَّ العلاقات الروسية – المصرية تتسم بالتوافق والتبادل في التعاطي في كثير من المجالات والأزمات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، لذلك من المتوقع أنَّ العلاقات بين الطرفين تستمر وتتطور على الرغم من وجود بعض الضغوطات الخارجية.

المصادر والمراجع:

[١] . العلاقات المصرية – الروسية خطوة بدأت باتفاقية مقايضة القطن المصري ١٩٤٨ وتوجها زيارة بوتن لمصر ، على الموقع الالكتروني Mlebanon.org/2015/02/09/Egyptian-russian تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/٢.

[٢] . وسام عبد العليم، العلاقات المصرية الروسية حفظها (ناصر) وقطعها (السادات) واوربها (مبارك) واستعادها (السيسي)، مجلة بوابة الاهرام الالكترونية، على الموقع الالكتروني: .gate.ahram.org.eg/News/596155.aspx تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/٣.

[٣] . خالد فؤاد، العلاقات المصرية الروسية: تقارب ام تحالف ؟، المعهد المصري للدراسات، مصر، ٢٠١٨، ص١.

[٤] . علي حسن السعدني، العلاقات المصرية الروسية، مجلة الحوار المتمدن، على الموقع الالكتروني: ahewar.org/debat/show.art.asp? تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/٦.

[٥] . محطات في تاريخ العلاقات المصرية الروسية، على الموقع الالكتروني: https://www.masrawy.com/news/news_reports/details/2013/11/20/137890/ تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/٩. ينظر كذلك: صالح النعامي، العلاقات المصرية – الاسرائيلية بعد ثورة ٢٥ يناير، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٧، ص١٠٣- ١١٢.

[٦] . وسام عبد العليم، العلاقات الروسية المصرية، بوابة الاهرام، على الموقع الالكتروني: https://gate.ahram.org.eg/News/2023258.aspx. تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٣/٩.

[٧] . وسام عبد العليم، العلاقات المصرية – الروسية، مرجع سابق، موقع الكتروني.

[٨] . عزت سعد، العلاقات المصرية الروسية شراكة متساوية ومصالح متبادلة، المجلس المصري للشؤون الخارجية, على الموقع الالكتروني: https://ecfa-egypt.org/2021/10/24/ تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٤/٤.

[٩] . ضياء غازي, شراكة استراتيجية العلاقات المصرية الروسية منذ ٣٠ يوليو ٢٠١٣, بحث منشور على موقع المركز العربي للبحوث والدراسات, على الموقع الالكتروني: http://www.acrseg.org/41891 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٤/٩.

[١٠] . هبة محسن, محطات في تاريخ العلاقات المصرية الروسية ، مقال منشور على موقع مصراوي, على الموقع الالكتروني: https://www.masrawy.com/news/news_reports/details/2013/11/20/137890/ تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٤/١٢.

[١١] . طارق ثابت, محطات وفرص: العلاقات المصرية الروسية, بحث منشور على موقع المركز العربي للبحوث والدراسات, على الموقع الالكتروني: http://www.acrseg.org/40658 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٤/٢٢. وينظر كذلك : عصام عبد الشافي، دور المؤسسة العسكرية في مصر بعد ٢٠١٣: المحددات والمسارات، تقارير مركز الجزيرة، الامارات، ٢٠١٩، ص٢ – ٥.

[١٢] . همام سرحان، اهداف ودلالات زيارة السيسي لروسيا، على الموقع الالكتروني: swissinfo.ch/ara/-377991144 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٥/٥.

[١٣] . فلادمير بوتن في زيارة رسمية لمصر لتوسيع النفوذ الروسي، على الموقع الالكتروني: france24.com/ar/20150209 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٥/٥.

[١٤] . وسام عبد العليم, العلاقات المصرية – الروسية، حفظها ناصر، وقطعها السادات واوربها مبارك، واستعادها السيسي ،موقع بوابة الاهرام الالكترونية، على الموقع الالكتروني: https://gate.ahram.org.eg/News/596155.aspx تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٥/٥.

[١٥] .الهيأة العامة للاستعلامات, زيارة الرئيس السيسي لروسيا، على الموقع الالكتروني: https://www.sis.gov.eg/Story/177155/. تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٥/١١.

[١٦] . القمة الروسية الأفريقية ٢٠١٩: موسكو تريد زيادة حجم التبادل التجاري مع القارة السمراء, على الموقع الالكتروني: https://arabic.euronews.com/next/2019/10/30/ تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٥/١٦.

[١٧] . اسماء بلجهم، الدور الأمني لروسيا في سوريا بعد ثورات الربيع العربي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ٢٠١٦، ص٢١.

[١٨] .كريم المفتي، مصالح روسيا والصين في الشرق الاوسط، دراسة تحليلية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيرت، ٢٠١٥، ص ٢٥.

[١٩] . خالد فؤاد، العلاقات المصرية الروسية: تقارب ام تحالف، مرجع سابق، ص٣.

[٢٠] . نورهان الشيخ، الموقف الروسي من الثورات العربية (رؤية تحليلية)، مجلة البيان، العدد (٩), التقرير الاستراتيجي التاسع، مصر، ٢٠١٥، ص٢٧٧.

[٢١] . احمد سيد حسين، السياسات الروسية تجاه الشرق الاوسط، مجلة الديمقراطية المصرية، العدد (١١)، ٢٠١٤، على الموقع الالكتروني: https://www.fatehinfo.ps/post/35302 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٧/٣.

[٢٢] .كريم المفتي، مصالح روسيا والصين في الشرق الاوسط، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ٢٦؛ وعزت سعد، العلاقات المصرية الروسية ، شراكة متساوية ومصالح متبادلة، مرجع سابق، ص٣.

[٢٣] . محمد سمير الجبور، الدور السياسي للمؤسسة العسكرية المصرية في ظل التحولات السياسية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الازهر، فلسطين، ٢٠١٤، ص١٦٠.

[٢٤] . احمد محمد متولي، تأثير الصعود الروسي على السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط: دراسة حالة الازمة السورية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١٥، ص ٣٥.

[٢٥] . ضياء غازي, شراكة استراتيجية: العلاقات المصرية الروسية منذ ٣٠ يونيو ٢٠١٣، المركز العربي للبحوث والدراسات، على الموقع الالكتروني: http://www.acrseg.org/41891 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٧/٩.

[٢٦] .Yasmin ELBeih : Russian Tourism in Egypt : what's Next ? Egypt today . https : /www.egypt today . com.

[٢٧] . Возобновление чартеров из России вызвало ликование в египетском турсекторе, https://ria.ru/20181018/1530960714.html

[٢٨] . طارق ثابت، محطات وفرص: العلاقات المصرية الروسية، مرجع سابق، موقع الكتروني.

[٢٩] . محمود جمال، مصر وروسيا وحماة الصداقة.. لماذا الان ؟، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر، ٢٠١٧، ص١ – ٢.

[٣٠] . المصدر نفسه، ص ٢-٣.

[٣١] . البسكي كلينوف، روسيا ومصر علاقة معقدة، الشرق للأبحاث الاستراتيجية، ٢٠١٩، على الموقع الالكتروني sharqforum.org/ar تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٨/٣.

[٣٢] . المصدر نفسه، موقع الكتروني.

[٣٣] . طارق ثابت، محطات وفرص: العلاقات المصرية الروسية، مرجع سابق، موقع الكتروني.

[٣٤] . وكالة الصحافة الفرنسية أ ف ب ، لافروف ببحث في القاهرة مكافحة الارهاب والتعاون المصري الروسي، على الموقع الالكتروني: swissinfo .chlara/afp/43217792 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٨/٩.

[٣٥] . الدفاع الروسية: موسكو تزيد التعاون العسكري مع مصر في مجال مكافحة الارهاب، على الموقع الالكتروني: Arabic.sputniknews.com/20171129/1027934575 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٩/١.

[٣٦] . Yuriy zinin: Is the red October Legacy still straceable across the middle east. Journal –neo-org/2018/01/31.

[٣٧] . العلاقات المصرية – الروسية خطوة بدأت باتفاقية مقايضة القطن المصري ١٩٤٨ وتتوجها زيارة بوتين اليوم ، على الموقع الالكتروني : https://www.imlebanon.org/2015/02/09/ تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٩/١.

[٣٨] . نورهان السيد الشيخ، السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الاوسط، مجلة دراسات الشرق اوسطية، مجلد (١١)، العدد (٣٩)، مركز دراسات الشرق الاوسط، الاردن، ٢٠٠٧، ص١٢٩.

[٣٩] . طارق ثابت, محطات وفرص: العلاقات المصرية – الروسية، مرجع سابق، موقع الكتروني.

[٤٠] . مصطفى خليل, العلاقات المصرية – الروسية في تنامي منذ تولي السيسي الحكم، على الموقع الالكتروني: WWW.Elfgr.org تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٨/٣.

[٤١] . احمد الغمراوي, العلاقات المصرية الروسية ٧٠ عاما من التعاون والذروة في العام الحالي، صحيفة الشرق الاوسط، العدد (١٣٤٢٢), ٢٠١٥، القاهرة.

[٤٢] . سحر عبد الرحمن, العلاقات السياسية المصرية – الروسية في ازهى عصورها, ندوة حوارية مع مجموعة من الناشطين السياسيين والدبلوماسيين المصريين, على الموقع الالكتروني: gate.ahram.org/daily/News. تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٩/٨.

[٤٣] .فلاديمير بوتين يختتم زيارة لمصر, مقالة منشورة على موقع BBC News, على الموقع الالكتروني: https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/02/150210 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٩/١٨.

[٤٤] Egypt plans to use ruble in trade with Russia
Read more: https://www.al-monitor.com/originals/2022/06/egypt-plans-use-ruble-trade-russia#ixzz7Z86Mjj00

[٤٥] . Российско-египетские экономические отношения. Досье
https://tass.ru/info/4802472

[٤٦] . احمد الغمراوي, العلاقات المصرية الروسية، مرجع سابق، موقع الكتروني.

[٤٧] . توقيع عقد تطوير المنطقة الصناعية الروسية في قناة السويس المصرية, مقال منشور على موقع روسيا اليوم, على الموقع الالكتروني: https://arabic.rt.com/russia/1294740 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٩/٢٠.

[٤٨] . مصطفى الفقي، العلاقات العربية الروسية رؤى استراتيجية وتحليلية حول الدور الروسي في المنطقة العربية، مكتبة الاسكندرية، مصر، ٢٠٢١، ص١٤.

[٤٩] . خالد فؤاد, العلاقات المصرية الروسية تقارب ام تحالف، مرجع سابق، ص٥.

[٥٠] . Russian – Egyptian political rapporochement to propel economic cooperation forward daily newsegypt.com/2018/10/17<

[٥١] . كريم المفتي، مصالح روسيا والصين في الشرق الاوسط ، مرجع سابق، ص٢٥ – ٣٠.

[٥٢] . احمد قنديل, الشراكة المصرية_الروسية كيف تساهم في تحقيق الامن والتنمية في الشرق الاوسط؟, مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، على الموقع الالكتروني: acpass.ahram , org ,eg/News/17114 تاريخ الزيارة ٢٠٢١/١١/١٢.